

الكتاب الخامس
انتشار الهندستية
من ٣٢٢ك ١٤٦ ق . م .

ثبت مسلسل للحوادث التاريخية

في الكتاب الخامس

	ق . م .
اسبيوسوس رئيس المجمع العلمي .	٣٢٩ - ٣٤٨
زفقرات رئيس المجمع العلمي .	٣١٤ - ٣٣٩
بطليموس الأول (سوتر) يؤسس أسرة البطالمة في مصر .	٢٨٥ - ٣٢٣
بلاد اليهود تصبح ولاية سورية .	٣٢٣ -
ثاوفراسطوس رئيس الوثقيون .	٢٨٨ - ٣٢٢
تقسيم إمبراطورية الإسكندر ؛ أول مسرحيات منتلد .	٣٢١ -
بطليموس الأول يستولى على أورشليم ، الفيلسوفان بيرون الإيليسى وأقراطيس الطيبى .	٣٢٠ -
فليمون والمسلاة الجديدة .	٣١٩ -
أرسطوفانس فيلسوف تارتم وفنائها الموسيقى .	٣١٨ -
دمتريوس الفاليريوم يتولى الساطة في أثينة .	٣١٧ - ٣٠٧
كسندر ملك مقدونية .	٣١٦ -
أنجونس الأول سيكلبس ملك مقدونية .	٣١٥ - ٣٠١
أنجونس الأول يملن حرية بلاد اليونان ؛ تقوم زينون إلى أثينة .	٣١٤ -
بويجا رئيس المجمع العلمي .	٣١٤ - ٢٧٠
بلاد اليونان تخضع للبطالمة .	٣١٢ - ١٩٨
سلوفر الأول (نكاتور) يؤسس الإمبراطورية السلوقية .	٣١٢ - ٢٨٠
ملكار ينزو صقلية .	٣١١ -
أيشكل طاهية سرقوسة ينزو إفريقيا .	٣١٠ -
قالون مناهضة الفلاسفة .	٣٠٧ -
دمتريوس پليورستيز ملك مقدونية .	٣٠٧ - ٢٨٧
أبيكتور يفتح مدرسته في أثينة .	٣٠٦ -
الحرب بين كسندر ودمتريوس پليورستيز للسيادة على بلاد اليونان .	٣٠٦ - ٣٠٢
تموس التورومنيوى المؤرخ .	٣٠٥ -
زينون يفتح مدرسته في استوى ، وسلوقس الأول يؤسس أطلاكية .	٣٠١ -
كساحوس يهزم أنجونس الأول عند إسوس .	
إقليدس الإسكندرى الرياضى ؛ أوتيميروس صاحب المذهب النقل .	٣٠٠ -
بيرس ملك الملوسيين .	٢٩٥ - ٢٧٢

- ق . م . ٠
- ٢٩٠ - مدرسة التحت الروديسية .
- ٢٧٥ - ٢٨٨ استراتون رئيس اللوقيون .
- ٢٤٦ - ٢٨٥ بطليموس الثاني (فلادلفس) ؛ متحف الإسكندرية ومكتبتها .
- ٢٨٥ - زفودوتس مدير المكتبة ؛ هرودوتس الخلقولوني عالم التشريح .
- ٢٣٩ - ٢٨٣ أنتيجونس الثاني (جناتاس) ملك مقدونية .
- ٢٨٠ - أرسطوخوس الساموسي الفلكي ، قيام حلف الآخمين ، پيرس يساعده تارتم على رومة .
- ٢٦٢ - ٢٨٠ أنطيوخوس الأول (سوتر) السلوق الإمبراطور .
- ٢٧٩ - ٢٨٠ الغاليون يفزون مقدونية وبلاد اليونان .
- ٢٧٩ - پيرس يفزو صقلية .
- ٢٧٨ - تيمثال رودس الضخم .
- ٢٧٧ - الغاليون يفزون آسية الصغرى .
- ٢٧٥ - أراطوس الصولي الشاعر .
- ٢٧١ - ثيمن الفيلسوفى الهجاء .
- ٢٧٠ - كلخوس الإسكندري وثاوقريطوس الكوسى الشاعران ؛ بروسس البابل المؤرخ .
- ٢٦٩ - ٢٧٠ أقراطيس الأثينى رئيس المجمع العلمى .
- ٢١٦ - ٢٧٤ هيزون الثاني طاغية سرقوسة .
- ٢٤١ - ٢٦٩ أرسلسوس رئيس المجمع العلمى الأوسط .
- ٢٦١ - ٢٦٦ الحرب الكرمتيدية .
- ٢٦١ - أنتيجونس الثاني يستولى على أثينة .
- ٢٤٧ - ٢٦٦ أنتيوخوس الثاني (ثيوس) الإمبراطور السلوقى .
- ٢٣٢ - ٢٦٦ أفلاطيتوس رئيس الاستوى .
- ٢٦٠ - هر داس الكوسى الشاعر .
- ٢٥٨ - إراسطراطوس الكيوسى العالم فى وظائف الأعضاء .
- ١٨٠ - ٢٥٧ أرسطوفان البيزنطى العالم اللغوى .
- ٢٥١ - أراطوس-السكيونى يجرر مدينته .
- ٢٥٠ - أراسيس يؤسس مملكة پارثيا ؛ اللاؤكون ؛ مانيشون المؤرخ المصرى ليكفرون الخلقيسى الشاعر .
- ٢٤٧ - أركيدز السراقوسى العالم الطبيعى .
- ٢٤٣ - ٢٦٦ ساوقس الثاني (كليكوس) .
- ٢٤٦ - ٢٢١ بطليموس الثاني (إرجينيس الأول) .

ق . ٢٠ .	
أراطوس يقود الحلف الآخر ضد مقدونية .	٢٤٣ -
أجيس الرابع يحاول الإصلاح في اسبارطة .	٢٤٢ -
أپلونيوس الرومى الشاعر .	٢٤٠ -
دمتر يوس الثانى ملك مقدونية .	٢٣٩ - ٢٢٩
أتلس الأول يؤسس مملكة بروجوم .	٢٣٥ - ١٩٧
أرتسثنيز مدير مكتبة الإسكندرية .	٢٣٥ - ١٩٥
أقريسيوس رئيس الاستوى .	٢٣٢ - ٢٠٧
أراطوس يحرر أثينة .	٢٢٩ -
أنتجونس الثالث (دوسون) ملك مقدونية .	٢٢٩ - ٢٢١
إصلاحات كليومينيس فى اسبارطة .	٢٢٦ - ٢٢٤
سلوقس الثالث (سوتر) .	٢٢٦ - ٢٢٣
الززال يدمر وودس .	٢٢٥ -
أنتيوخوس الثالث (العظيم) الإمبراطور السلوقى .	٢٢٣ - ١٨٧
أنتجونس الثالث يهزم كليومينز الثالث عند بيلاسيا .	٢٢١ -
فليب الخامس ملك مقدونية .	٢٢١ - ١٧٩
بطلميوس الرابع (فيلارباتر) .	٢٢١ - ٢٠٣
أپلونيوس الهرجائى العالم الرياضى .	٢٢٠ -
بطلميوس الرابع يهزم أنتيوخوس الثالث عند رافيا .	٢١٧ -
تحالف فليب الخامس وهنيبال .	٢١٥ -
الحرب المقدونية الأولى ضد رومة .	٢١٤ - ٢٠٥
مارسلوس يستولى على سرقوسة ، موت أركميديز .	٢١٢ -
سقلية تصبح ولاية رومانية .	٢١٠ -
زينون العرسوسى الفيلسوف .	٢٠٨ -
ثورة فابيس فى اسبارطة .	٢٠٧ -
مصر حماية رومانية .	٢٠٥ -
بطلميوس الخامس (اپفانيز) .	٢٠٣ - ١٨١
الحرب المقدونية الثانية .	٢٠٠ - ١٩٧
ديجين السلوقى الفيلسوف .	٢٠٠ -
معركة سهنوسلملى .	١٩٧ -
مجد بروجوم تمت حكم يومينز الثانى	١٩٧ - ١٦٠
فلامينيوس يعلن حرية بلاد اليونان ؛ إنشاء مكتبة بروجومى .	١٩٦ -
أرسطوفان البيزنعلى أمين مكتبة الإسكندرية .	١٩٥ - ٨٠

- ق . م . ٥
- ١٩٠ - المجمل الفرقيزي .
- ١٨٩ - الرومان يهزمون أنتيوخوس الثالث عند مجينزيا .
- ١٨٨ - فليپومين يلغى دستور ليقورغ في اسبارطه .
- ١٨٧ - ١٧٥ سلوقس الرابع (فلوباتر) .
- ١٨٦ - ١٤٥ بطليموس السادس (فلوميتور) .
- ١٨٥ - المدهج العظيم في ترجموم . أرسطارخوس السمتراسى أمين مكتبة الإسكندرية
- ١٧٩ - ١٦٨ برسيسوس ملك مقدونية .
- ١٧٥ - ١٦٣ أنتيوخوس الرابع (إيفانيز) الإمبراطور السلوقى .
- ١٧٥ - ١٣٨ مترداتس الأول ملك پارثيا .
- ١٧٤ - أنتيوخوس الرابع يعيد بناء أولمپوم .
- ١٧٣ - قرنيادس رئيس الأكاديمية الجديدة .
- ١٧١ - ١٦٨ الحرب المقدونية الثالثة .
- ١٦٨ - إميليس يولوس يهزم برسيسوس عند پدنا . أنتيوخوس الرابع يهتبه هيكل أورشلیم .
- ١٦٧ - إخراج الآخمين ومنهم پوليبوس المؤرخ .
- ١٦٦ - نهضة المكابيين الأولى ؛ سفر دانيال .
- ١٦٥ - چوداس مكابى يعيد الصلوات في المعبد .
- ١٦٣ - ١٦٢ أنتيوخوس الخامس (پوباتر) الإمبراطور السلوقى .
- ١٦٢ - ١٥٠ دمتريوس الأول (سوتر) الإمبراطور السلوقى .
- ١٦١ - چوداس مكابى يعقد معاهدة مع رومة .
- ١٦٠ - هزيمة چوداس مكابى وموته .
- ١٦٠ - ١٣٩ أتلس الثانى ملك برجموم ؛
- ١٥٧ - بلاد اليهود تصبح دولة مستقلة يحكمها رجال الدين .
- ١٥٥ - كرنيديز في رومة .
- ١٥٥ - ١٤٥ الكسندر بالاس الإمبراطور السلوقى .
- ١٥٠ - هپاركوس النيقياى وسلوقس السلوقى الفلكيان ؛ مسخوس الأزيميرى الشاعر .
- ١٤٦ - ميموس يهتبه كورنثة ؛ بلاد اليونان ومقدونية تصبغان ولاية تابعة لرومة .

الباب الثالث والعشرون

بلاد اليونان ومقدونية

الفصل الأول

تنازع السلطان

يقسم المؤرخون الماضي أحقاباً ، وسنين ، وحوادث ، كما يقسم الفكر العالم جماعات ، وأفراداً أو أشياء ؛ ولكن التاريخ لا يعرف ، كما لا تعرف الطبيعة ، إلا الاستمرار والتغير — والتاريخ لا يقفز قفزات *historia non facit*. لهذا لم تشعر بلاد اليونان الهلنستية بأن موت الإسكندر كان نهاية عصر من العصور ؛ بل نظرت إلى الإسكندر نفسه على أنه بداية العصور « الحديثة » ، وعلى أنه رمز الشباب القوى لا على أنه عامل من عوامل الاضمحلال والفتناء ؛ وكان هذا العالم موقناً بأنه قد بدأ الآن أعظم مراحل النضوج ، وأن زعماءه لم يكونوا يقلون عظمة وفخامة عن الزعماء في أى عصر من العصور الماضية ماعدا الملك الشاب نفسه ، فهو دون غيره نسيج وحده^(١). ولقد كان هذا العالم على حق من نواح كثيرة . ذلك أن الحضارة اليونانية لم تمت بموت الحرية اليونانية ، بل إنها على العكس من ذلك قد افتتحت لنفسها أقطاراً جديدة ، وانتشرت في ثلاث جهات بعد أن حطم تكوين الإمبراطوريات الواسعة ما كان يعترض سبل الاتصال والاستعمار والتجارة من حواجز سياسية . وكان اليونان لا يزالون شعباً مغامراً يقظاً ، فهاجروا بمئات الآلاف إلى آسية ، ومصر ، وإيروس ، ومقدونية ، وبذلك لم تزدهر أيونيا مرة أخرى وحسب ، بل إن الدم الهليني

واللغة اليونانية والثقافة اليونانية قد شقت طريقها إلى داخل آسية الصغرى ،
وفينيقية وفلسطين ؛ واخترقت سوريا ، وبابل ؛ وتخطت نهري الفرات
ودجلة ، بل وصلت إلى بكتريا والمهند نفسها . ولم تكن الروح اليونانية في
في وقت من الأوقات أشد مما كانت في ذلك الوقت حماسة وشجاعة ؛ ولم
تحرز الآداب والفنون اليونانية نصراً مؤزرأً أوسع من النصر الذي أحرزته
في تلك الأيام .

ولعل هذا هو السبب الذي جعل المؤرخين يهتمون بتاريخ بلاد اليونان
بالإسكندر ؛ ذلك أن العالم اليوناني بعد موته قد بلغ من الاتساع والتعقد حدأً
لايستطيع الإنسان معه أن ينظر إليه على أنه وحدة ، أو يقص تاريخه قصة
متصلة . ذلك أنه لم تقم فيه ملامح دول ملكية كبرى فحسب - مقدونية ،
وسلوينية ومصر - ؛ بل نشأ فيه أيضاً مائة من دول المدن اليونانية
تتمتع بدرجات مختلفة من الاستقلال ؛ وقامت أحلاف واتحادات متشابكة ؛
وأنشئت دول نصف يونانية في أيروس ، وبلاد اليهود ، وبرجوم ،
وبزنطية ، وبيثينيا ، وكبدوكيا ، وغلاشيا ، وبكتريا . وقامت في الغرب
إيطاليا وصقلية اليونانيتان تتنازعهما قرطاجة العجوز ورومة الفتية . وكانت
دولة الإسكندر المزعومة القواعد لا تربطها إلا روابط ضعيفة من اللغة وسبل
الاتصال ، والعادات والدين ، لا تقوى معها على البقاء طويلا . يضاف إلى
هذا أنه لم يترك وراءه رجلا قويا واحدا بل ترك رجلا كثيرين ، لم يكن
منهم من يقنع بأقل من السيادة التامة . وغفلت الدولة الحديدية لسعتها واختلاف
أصقاعها عن فكرة الديمقراطية ، فقد كان الاستقلال ، كما يفهمه اليونان ،
يفترض وجود دولة مدينة يستطيع مواطنوها أن يجتمعوا في أوقات معينة
في مكان واحد . يضاف إلى هذا أن فلاسفة أثينة الديمقراطية قد عابوا على
هذه الديمقراطية نفسها أنها مستقر الجهالة والتحاسد والفوضى . وكان خلفاء
الإسكندر جماعة من الزعماء المقدونيين تعودوا من زمن بعيد أن يقيموا حكمهم
بالسيف ؛ ولم يكن للديمقراطية نصيب من تفكيرهم إلا في أوقات متفرقة

يستشيرون فيها أعوانهم . وبعد عدة مناوشات حربية صغيرة تخلصوا فيها من صغار منازعهم ، قسموا الدولة خمسة أقسام (٣٢١) ، فاخصص أثباتر بمقدونية وبلاد اليونان ؛ وليسماخوس بتراقية ، وأنتجونس بأسية الصغرى ، وسلوقس ببابل ، وبطليموس بمصر . ولم يروا ضرورة للذعوة مجمع عام من الدول اليونانية يؤيد هذا التقسيم . وظلت الملكية من تلك الساعة إلى قيام الثورة الفرنسية . - إذا استثنينا فترات متقطعة في تاريخ بلاد اليونان نفسها وتاريخ جمهورية رومة الأرستقراطية - هي المسيطرة على أوروبا بأكملها .

إن المبدأ الأساسى الذى تقوم عليه الديمقراطية هو الحرية التى تدعو إلى الفوضى ، كما أن المبدأ الأساسى فى الملكية هو السلطان الذى يدعو إلى الاستبداد والثورة والحرب . ولقد كانت الحروب الخارجية والأهلية من عهد فليب إلى عهد برسيوس ، ومن قبرونية إلى بدنا (٣٣٨ - ١٦٨) ، تكملها الحروب الخارجية والداخلية فى الممالك لأن منافع الحكيم تغوى مائة من القواد على أن يتنازعا العروش . ولم يكن العنف أقل انتشاراً فى بلاد اليونان الهلنستية منه فى رومة فى عهد النهضة . كذلك لم يكن زعماء العصابات اللذين يستأجرون بالمال لتأييد هذا الفريق أو ذاك أقل عدداً أو أقل شهرة فى الأولى منهم فى الثانية . ولما مات أثباتر ثارت أثينة مرة أخرى ، وقتلت فوشيون . الشيخ الطاعن فى السن بعد أن حكمها باسم أثباتر حكماً كان أعدل . ما يستطيع أن يهبها من أحكام ، وأعاد كسنلر بن أثباتر المدينة إلى محكم مقدونية (٣١٨) ، ووسع حق الانتخاب حتى شمل من كان يملك ألف درخمة ، وأتاب عنه فى الحكيم ذمتريوس الفلروى Demetrius of Phalerum الفيلسوف ، والعالم ، والفنان الهاوى الذى نعمت المدينة فى عهده بعشر سنين من الرخاء والسلام ، وفى هذه الأثناء كان أنتجونس الأول « الجبار الأعور » يحلم بضم دولة الإسكندر كلها تحت عينه الواحدة ؛ ولكن حلفا من أقسام هذه الدولة هزمه هند لإسوس (٣٠١) ، وانزع منه سلوكس أسية الصغرى ، وحرر

ابنه دمتریوس بولیکریتر («أخذ المدن») بلاد اليونان من نير مقدونية ، واستمعت أثينة تحت حكمه باثني عشر عاما أخرى من الحكم الديمقراطي ؛ وأقام في البرثون ضيفا على المدينة ، وجاء بالسراري ليعشن معه فيه (٢) ، ودفع بعض الشبان المستيئين إلى أعمال العنف بمغامراته النسائية(*) ، وانتصر في معركة بحرية انتصارا باهرا على بطليموس الأول قرب قبرص (٣٠٨) ، وحاصر رودس ستة أعوام استخدم فيها آلات جديدة من آلات الحصار ، ولكنه ارتد عنها خائبا . وجعل نفسه ملكا على مقدونية (٢٩٤) ، وقضى على حرية أثينة بحامية وضعها فيها ، وتورط في حرب بعد حرب ، حتى هزمه سلوكس وقبض عليه ؛ ومات من كثرة الشراب .

وبعد أربع سنين من ذلك الوقت (٢٧٩) ، انتهزت جموع من الكلت أو « الغالين » بزعامة برنوس Brennus فرصة ما حدث من الاضطراب بسبب النزاع القائم على السلطة في شرق البحر الأبيض المتوسط (**) ، فانقضت على بلاد اليونان مخترقة تراقية ومقدونية . ويقول بوسنياس إن برتوس « أشار إلى ضعف بلاد اليونان ، وإلى ما في مدنها من ثروة طائلة ، وما في هياكلها من نور ضخمة ، وإلى ما في البلاد من مقادير هائلة من الفضة والذهب (٤) » . وشبت في نفس هذا الوقت نار الثورة في مقدونية بزعامة أبلودوروس Apollodorus ؛ وانضم قسم من الجيش إلى الثوار ، وأيدوا الفقراء الجياع في ثأرهم اللورى المتكرر من الأغنياء وانتهاب ثروتهم . وما من شك في أن الغالين قد وجلوا لهم بإرشاد أحد اليونان طريقا سريا حول ترموپيلي ، فعاثوا في الأرض فسادا ، يقتلون وينهبون بلا حرج ولا تمييز ، ثم تقدموا بجمعهم نحو هيكل دلفي

(*) وبحث دمتریوس عن دكليز Damocles في كل مكان ، ولما أوشك أن يقبض عليه قتل نفسه بأن قفز في قدر بها ماء يغلى (٣) . وليس لنا أن نحكم على الأثينيين حكما خاطئا مستدين إلى هذا المثل الفذ من أمثلة الفضيلة .

(**) وهو غير برنوس الذى غزا إيطاليا في عام ٣٩٠ ق . م .

الغنى . فلما صدتهم عنه قوة يونانية وعاصفة هوجاء أرسلها أبلو كما يعتد اليونان للدفاع عن مزاره ، تفهقر برتوس وقتل نفسه فرارا من العار . وعبرت فلول الغالين الذين نجوا من القتل إلى آسية الصغرى ، ويقول فيهم يوسنياس إنهم « ذبحوا جميع الذكور ، والعجائز ، كما ذبحوا الأطفال على صدور أمهاتهم ؛ وشربوا دماءهم وأكلوا لحوم السبان منهم ، فلما رأت ذلك النساء الشريقات والعذارى المخدرات انتحرن فرارا من العار . . . وتعرض من بقين على قيد الحياة لأصناف من الامتهان لا حصر لها . . . فمنهن من ألقين بأنفسهن على شفار سيوف الغالين ، يطلبن لأنفسهن الموت ، ومنهن من قضين نجبن من الجوع وعدم النوم ، وكان هؤلاء البرابرة الغلاظ الأكباد يقتصبون واحدة في إثر واحدة ويشبعون فيهن شهواتهم سواء كن أحياء أو أمواتا»(*) (٥) .

وبعد أن عاث الغزاة فسادا في البلاد أعواما طويلا ، أقنعتهم يونانيو آسية بما نفحوم من المال بأن ينسحبوا إلى شمالي فريجيا (وعرفت مستعمراتهم فيها باسم غالاشيا) ، وإلى تراقية وبلاد البلقان . وظل الغالون جيلين كاملين يرهبون سلوقس الأول والمدن اليونانية القائمة على سواحل آسية وشواطئ البحر الأسود . وكانت بزنطية وحدها تؤدي لهم جزية سنوية تقدر بما يوازي ٢٤٠,٠٠٠ ريال أمريكي (***) (٦) . وكما أن أباطرة رومة وقوادها قد شغلوا في القرن الثالث بعد الميلاد بصد غارات البرابرة على الدولة الرومانية ، كذلك

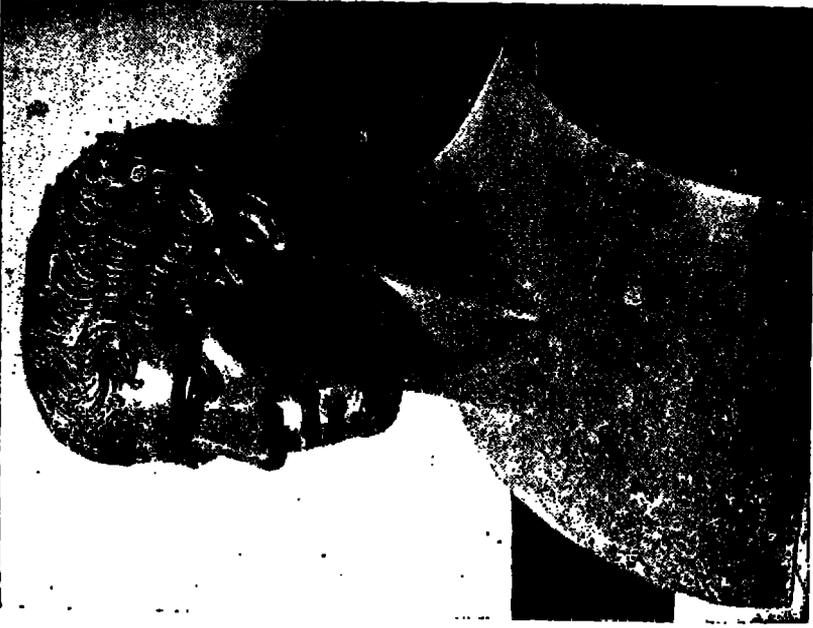
(*) ليس لدينا رواية من الغالين أنفسهم عن هذه الحوادث ، كما أننا ليس لدينا أية رواية من « البرابرة » عن غزو اليونان لآسية ، أو ليطاليا ، أو صقلية .

(**) ستقدر الوزن في الصفحات التالية من هذا الكتاب بما يعادل ٣٠٠٠ ريال أمريكي على أساس قيمة الريال في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٩ ، وذلك لكي ندخل في حسابنا ما حدث في العصر الهلنستي من ارتفاع في الأسعار .

مصر ملوك بروجوم ، وسلوقيا ، ومقدونية ، هم وقوادها مواردهم وقواهم في القرن الثالث قبل الميلاد لصدم موجات الكلت الغزاة المتكررة عن البلاد اليونانية . ذلك أن الحضارة القديمة كانت طوال تاريخها تعيش على شاطئ بحر من الهمجية طالما هدها بإعراقها واجتياحها ؛ وقد استطاعت بسالة المواطنين أن تصد أمواج هذا البحر الطامى في يوم من الأيام بعد أن أعدت لهذا الغرض إعداداً دائماً طويلاً الأمد ؛ ولكن البسالة كانت تختصر في بلاد اليونان في وقت أن كان الدهر يضيئ عليها صبغتها القديمة ويخلع عليها اسمها اللذين عرفت بهما في مستقبل أيامها .

وطرد أنتجونس الثاني ابن دميريوس بوليكراتيس والمعروف باسم « جوناتاس » لأسباب لا نعرفها الآن ، طرد الغالين من مقدونية ، وقلم أظفار فتنة أبلودورس ، وحكم مقدونية حكماً حازماً معتدلاً دام ثمانية وثلاثين عاماً (٢٧٧ - ٢٣٩) . وكان سمحاً جواداً يناصر الآداب والعلوم والفلسفة ، واستدعى شعراء مثل أراطوس السلياني إلى بلاطه ، ووثق مع زينون الرواقى الصداقة التي دامت طوال حياته ، وكان أول تلك السلسلة غير المتصلة الحلقات من الفلاسفة الملوك التي انتهت بماركس أورليوس . ومع هذا في أثناء حكمه بدلت أثينة آخر جهودها لاستعادة حريتها . ذلك أن الحزب الوطنى الأثينى الذى كان يزعمه في ذلك الوقت أقرمئيدس Chremonides أحد تلاميذ زينون الشبان استولى على أزمة الحكم في عام ٢٦٧ . واستطاع بمعونته مصر أن يطرد الجنود المقدونيين من المدينة ، ويعلن استقلال أثينة وحريتها . وجاءه أنتجونس على مهل ، واسترد المدينة (٢٦٢) ، ولكنه عامله معاملة من يحترم الفلسفة والشيخوخة ؛ فوضع حاميات في بيرية وسلامييس وعند سنيوم ، وحذر أثينة من الاشتراك في أحلاف والاشتباك في حروب ، وفيما عدا هذا ترك للمدينة حريتها كاملة .

وكانت المدن اليونانية الأخرى وقتئذ تحل بأساليب أخرى مشكلة التوفيق بين الحرية والنظام ، فشرعت إيتوليا الصغيرة حوالى عام ٢٧٩ ، وكان يسكنها



(شکل ۴۶) دوریثوروس من صنع پورکلیتس کا اعادہ
آپولونیوس (متحف ناپل)



(شکل ۴۵) رأس هرمس من صنع پرکسٹینز (متحف اولمپا)

كما يسكن مقدونية أقوام جيليون نصف همج لم يخضعوا في حياتهم لغريب ، شرعت هذه المدينة الصغيرة تنظم مدن اليونان الشمالية - وخاصة مدن الحلف الدلفي الاثني عشرى - وتضمها في الحلف الإيتولى ؛ وضم الحلف الآخى المؤلف من مدائن پترى Patrae ، وديمي Dyme ، وپلبنى ، إلى عضويته حوالى ذلك الوقت كثيراً من مدن الهلپونيز . وظلت الهيئات البلدية التى يتألف منها كلا الحلفين تشرف على جميع فروع الحكومة المحلية ، ولكنها أسلمت قواها المسلحة وعلاقاتها الخارجية إلى مجلس الاتحاد وإلى استراتيجوس ينتخبه من يستطيع من المواطنين أن يحضر الجلسات السنوية التى تعقدتها الجمعية فى لإجيوم من أعمال آخية أو فى ثرموس من أعمال إيتوليا . وكانت مهمة كل حلف أن يحافظ على السلم ، ويوحد المقاييس والموازين والسكة فى الأصمغاع التى يشملها . وتلك خطوة فى سبيل التعاون تجعل القرن الثالث أرقى من عصر پركايز من بعض الوجوه .

وحول أراتوس السكيونى عصبة الدول السكيونية إلى قوة من الطراز الأول . واستطاع هذا التمسكتكيز الحديد وهو فى سن العشرين أن يحرر سكيون من طاغيئها بأن باغته بالمهجوم ليلا هو وحفنة من الرجال ، واستطاع بفصاحته وبراعته فى المفاوضات أن يقنع جميع مدن الهلپونيز ماعدا اسبارطة وإليس بأن تنضم إلى العصبة التى ظلت تنتخبه رئيساً لها مدى عشر سنين (٢٤٥ . ٢٣٥) . ودخل مدينة كورنثة سرا ومعه بضع مئات من رجاله وتساقىة أكر وكورنثس المنيعه ، وبدد شمل الجيوش المقدونية ، وأعاد إلى المدينة حريئها . ثم انتقل إلى ثغرپرية ورشا الحامية المقدونية المقيمة بها بالمال فاستسلمت له وأعلن تحرير أثينة ، وظلت تلك المدينة من ذلك الوقت إلى الفتح الرومانى تستمتع باستقلال فذ فى نوعه - فقد كانت لا حول لها ولا طول

من الناحية العسكرية ولكن الدول الهلنستية تركتها وشأنها لم تمسها بسوء لأن جامعاتها العلمية جعلتها العاصمة الذهنية للعالم اليونانى . ووجهت أئينة عنايتها للفلسفة ، واختفت من ذلك الحين من التاريخ السياسى .

وكانت عصبتا الدول اليونانية وقتئذ في عنفوان قوتها ، ثم أخذتا تضعفان نفسيهما بمحاربة كل منهما للأخرى في الخارج ، وبحروب الطبقات في الداخل . ففي عام ٢٢٠ اشتبكت العصبة الإيتولية ومعها اسبارطة وإليس في الحرب « الاجتماعية » العوان ضد العصبة الآخية ومقدونية . وكان أراطوس المدافع عن الحرية يدافع أيضاً عن حق الملكية ؛ ولذلك كانت العصبة تؤيد حزب الملاك في كافة المدن . وشكا فقراء المواطنين من أنهم لا يستطيعون حضور الجمعيات النائية لعصبة الدول وأنهم كانوا في واقع الأمر محرومين من الحقوق السياسية ؛ وكانوا يرتابون في فائدة حرية لا معنى لها إلا أن تتيح الفرصة كاملة للأقوياء والمهرة دون غيرهم لكي يستغلوا الضعفاء والسذج ؛ فأخذوا يؤيدون تأييداً متزايداً المهرجين من زعماء الشعب الذين كانوا ينادون بإعادة توزيع الأراضي الزراعية ؛ وشرع الفقراء يفضلون حكم المقدونيين على حكومتهم الوطنية كما كان يفعل الأغنياء قبل مائة عام من ذلك الوقت .

بيد أن الذى قضى على مقدونية آخر الأمر هو أمانة أنتجونس الثالث . وذلك أنه كان قد استولى على زمام السلطة بوصفه وصياً على فليب ابن زوجته ، ووعد بأن يتخلى على الملك حين يبلغ فليب سن الرشد . وأطلق عليه الساخرون في ذلك الوقت اسم « الدوسون Doston أى الواعد » ، لأنهم على ما يبدو كانوا موقنين بأنه لن يوفى بوعدده . ولكنه أنجز هذا الوعد فعلاً ، وبدأ فليب الخامس في عام ٢٢١ ، وهو في السابعة عشرة من عمره ، حكماً طويلاً مليئاً بالدسائس والحروب . وكان فليب شجاعاً قديراً ، ولكنه كان مخاتلاً ميت الضمير ، لم

يتورع عن أن يغرر بزوجة ابن أراطوس ، ويسم أراطوس نفسه ، ويقتل ابنه هو لأنه ظننه يآتمر به ، وأقام ولائم من الخمر المسموم للذين وقفوا في وجه خطته^(٧) . وقد وسع رقعة مقدونية وزاد ثروتها ، وتركها وهي أكثر سكانا وأعظم رخاء مما كانت عليه منذ مائة وخمسين عاماً . ولكنه في عام ٢١٥ أوجس خيفة من قوة رومة النامية ، فارتكب الغلظة التاريخية الموبقة بأن تحالف مع هنيبال وقرطاجة ، فما كان من رومة إلا أن أعلنت الحرب على مقدونية بعد عام واحد من ذلك الوقت وبدأت تستولى على بلاد اليونان .

الفصل الثاني

الكفاح من أجل المال

ويقول أثينيوس ، وهو ثرثار خليق بأن يعتمد عليه بالقدر الذي يصح أن يعتمد به على أمثاله الثرثارين ، إن ديمتريوس الفالرومي أحصى سكان أثينة حوالي عام ٣١٠ ق . م فوجد فيها ٢١,٠٠٠ من المواطنين ، و ١٠,٠٠٠ من الغرباء المستوطنين ، و ٤٠٠,٠٠٠ من الأرقاء^(٨) : فأما العدد الأخير فلا يمكن تصديقه ، ولكننا لانعرف شيئاً ينقضه ، وأكبر الظن أن عدد الأرقاء الذين كانوا يعملون في المزارع قد ازداد لأن الضياع كانت آخذة في الاتساع ، ولأن استغلالها بجهود العبيد تحت إشراف العبيد الذين يعملون في خدمة المالك البعيد عنها ، كان آخذاً في الازدياد^(٩) . وبفضل هذا النظام انتشر نظام الزراعة الذي يعتمد على العلم أكثر من ذي قبل ؛ ودليلنا على ذلك أن فارو Varro كان يعرف أسماء خمسين كتاباً في فن الزراعة . ولكن عوامل التعرية وتقطيع الغابات أدت إلى اكتساح التربة في مساحات واسعة من الأرض الخصبة . وحتى في القرن الرابع ذكر أفلاطون أن الأمطار وفيضانات الأنهار قد جرفت على مر الزمن كثيراً من تربة أتكا الخصبة ؛ ويشبه ما بقي من التلال بالهيكل العظمي الذي انتزع منه اللحم^(١٠) . وما وافى القرن الثالث حتى كانت مساحات واسعة في أتكا قد تعرت من تربتها الخصبة إلى درجة اضطرت أصحاب كثير من الضياع القديمة إلى هجرها ، وأخذت غابات بلاد اليونان تختفي شيئاً فشيئاً ، حتى اضطروا أهلون إلى استيراد الخشب كما اضطروا إلى استيراد الطعام من خارج البلاد^(١١) . كذلك أجذبت مناجم لوزيوم ، وكادت هي الأخرى أن تهجر ، وكان

استيراد الفضة من أسبانيا أرخص من استخراجها من مناجم البلاد ، وأضححت مناجم الذهب في تراقية تغني خزائن مكدونية وتجمل عملاتها بعد أن كانت تصب ثروتها في أثينة .

وبينا كانت موارد الرجولة والمواطنة المستقلة ينضب معينها في القرى ، كانت الصناعة وحرب الطبقات تفعلان فعلهما في المدن ، فكانت المصانع الصغيرة في أثينة وفي جميع المدائن الكبرى في العالم الهلنستي يتزايد عددها وعدد العبيد الذين يعملون فيها ؛ وكان تجار الرقيق يصحبون الحيوش ، ويتاعون من لايفتدون من الأسرى ، ويبيعونهم بسعر ثلاث مينات أو أربع (مائة وخمسين ريالاً أو مائتي ريال) في أسواق الرقيق الكبرى في ديلوس وروودس . وكان عدد من الناس يشعرون بما في هذا النظام القديم ، نظام الاسترقاق ، من مجافاة للمبادئ الإنسانية ؛ وكان من ثمار الفلسفة أن سرت في قلوب الناس عاطفة إنسانية نبيلة ؛ يضاف إلى هذا أن الروح العالمية التي سادت ذلك العصر لم تكن تميز بين الأجناس البشرية ، وأن العمال المأجورين الذين يخرجون من الأعمال حين لا تأتي بأرباح ليعيشوا من معونة الدولة ، كانوا في كثير من الظروف أقل كلفة من العبيد الذين لا بد من إطعامهم على الدوام^(١٢). وكان من أثر هذه العوامل كلها أن أخذ عدد العبيد المحررين يزداد في ذلك الوقت زيادة ملحوظة .

وكسدت التجارة في المدن القديمة ولكنها راجت في المدن الحديثة ، فازدهرت الثغور اليونانية في آسية ومصر على حساب ثغر بيرية ، وحتى في أرض اليونان القارية كانت خلقيس وكورنثة هما اللتين استفادتتا من تيار التجارة الهلنستية الزاخر ؛ فقد كان التجار لا يقطعون عن التردد غادين راغبين على هذين البلدين ذوى المركز الهام والاستعداد التجارى العظيم ، كما لم يكونوا يقطعون عن التردد على أنطاكية ، وسلوقيا ، وروودس ، والإسكندرية ، وسرقوسة ؛ وكانوا ينشرون مع تجارتهم نزعتهم العالمية والمتشككة . وتضاعف عدد رجال المصارف ، ولم يكونوا يقرضون المال

للتجار والملاك فحسب ، بل كانوا يقرضونه أيضاً للمدین والحكومات (١٣) ، وكان لبعض المدین مثل ديلوس وبيزنطية مصارف عامة أو وطنية تودع فيها الحكومات أموالها ويديرها موظفون معينون من قبل الدولة (١٤) . وفي عام ٣٢٤ أنشأ أنتميس الرودسى أول نظام معروف للتأمين ، وذلك بأن ضمن للملاك تظير ثمانية في المائة من إيرادهم ما عسى أن يصيبهم من الخسارة إذا فر منهم عبيدهم (١٥) . وكانت نتيجة انطلاق الأموال المكذبة في خزائن بلاد الفرس ، وسرعة تداول روؤوس الأموال ، أن نقص سعر الفائدة إلى عشرة في المائة في القرن الثالث ، وإلى سبعة في المائة في القرن الثاني . كذلك انتشرت المضاربات انتشاراً كبيراً ، ولكنها كانت على غير نظام ؛ فن المضاربين من كانوا يعملون لرفع الأسعار بتحديد الإنتاج ؛ وقد وجد في البلاد من كانوا يدعون إلى تحديد مقدار الحاصلات الزراعية لكي يحفظ الزراع بقدرتهم على الشراء (١٦) . وكانت أثمان السلع مرتفعة في العادة لأن الإسكندر هو الآخر قد صب في أيدي الناس الأموال المكذبة . في خزائن الملوك الأكمينيين ؛ لكن هذا السبب عينه كان من الأسباب التي يسرت سبل التجارة ، ونشطت الإنتاج فعادت الأثمان إلى مستواها العادى . وازدادت ثروة الأغنياء إلى حد لم يعرف له مثيل في تاريخ اليونان ، فاستحالت البيوت قصوراً ، وأضححت الرياض والعربات أفخم من ذى قبل ، وكثر العبيد ، وصارت وجبات الطعام قصفاً ولها خليعاً ، وأضححت النساء معارض لثراء أزواجهن (١٧) .

ولم تستطع الأجور لانخفاضها مجازاة أثمان السلع الآخذة في الارتفاع ، فإذا انخفضت هذه الأسعار انخفضت معها الأجور على الفور ؛ ولم تكن تكفى إلا لإطعام شخص بمفرده ، وكانت سبباً في انتشار العزوبة والمسكنة ، وإفقار البلاد من أهلها ؛ وأخذ الفرق بين أجر العمل الحر ونفقات الرقيق ينقص - تدريجاً . ولم يكن العمل ميسراً للعامل على الدوام ، وترك آلاف من الرجال مواطنهم في المدین اليونانية التي في أرض القارة ليعملوا جنوداً

مرتزقين في خارج البلاد ، أوليخفوا فقرهم في عزلتهم الريفية (١٨) . وأعانت حكومة أثينة المعدمين من أهلها بهبات من الحبوب ، وأخذ الأغنياء يسلونهم بما يقدمون لهم من التذاكر التي تبيح لهم حضور الحفلات والألعاب . فقد كانوا يقترون في الأجور ، ولكنهم كانوا أخصياء في الصدقات ؛ وكثيراً ما كانوا يقرضون المال لمنهم من غير فائدة ، أو ينقلونها من الإفلاس بالهبات الضخمة ، أو ينشئون المباني العامة على نفقتهم الخاصة ، أو يهبون المال للهياكل والجامعات ، أو يجودون بالكثير منها لإقامة الثنائيل ، أو إجازة الشعراء الذين يذيعون في الناس ملاحمهم أو يشيدون بعطاياهم . ونظم الفقراء أنفسهم في اتحادات ليتبادلوا المعونة فيما بينهم ، ولكنهم كانوا أضعف من أن يحدوا من سلطان الأغنياء أو مهارتهم ؛ ومن جمود الفلاحين واستعداد الحكومات والأحلاف المتنافسة لتبادل المعونة المسلحة للقضاء على الثورات (١٩) . وقد أدت حرية الكفاليات غير المتكافئة في جمع الثروة أو الهلاك جوعاً إلى ما أدت إليه من قبل في أيام صولون ، ألا وهو تركيز الثروة في أيدي عدد قليل جداً من الأفراد . وكان الفقراء سريعي الاستجابة إلى الدعايات الاشتراكية ، فأخذ ممثلوهم يطالبون بإلغاء الديون ، وإعادة توزيع الأراضي الزراعية على الأهلين ، ومصادرة الثروات الكبرى ؛ وكان أكثرهم جرأة يطالبون من حين إلى حين بتحرير العبيد (٢٠) .

وكان ضعف العقيدة الدينية سبباً في نشأة الدعوة إلى إقامة مدائن فاضلة خيالية تعوض على الناس هذا الضعف : فوصف زينون الرواق في جمهوريته التي نشرها عام ٣٠٠ ق . م على ما يظن نظاماً شيوعياً مثالياً ؛ وأهم ممبولوس أحد أتباعه (٢٥٠ في الغالب) . الثوار اليونان برواية له وصف فيها جزيرة مباركة في المحيط الهندي . (قد تكون جزيرة سرنديب) قال إن الناس كلهم فيها أكفاء ، لا في الحقوق فحسب ، بل في مقدرتهم وذكاتهم ؛ وإنهم كلهم يعملون على قدم المساواة ، ويقتسمون ثمار عملهم بالتساوي ، ويشتركون

كلهم إذا جاء دورهم في تصريف شئون الحكومة ، وإن هذه الجزيرة لم يكن فيها غنى ولا فقر ، ولا حرب بين الطبقات ، وإن الطبيعة تنتج فيها الفاكهة موفورة بلا حاجة إلى جهد ، وإن الناس يعيشون فيها متآخين متحابين (١٣٠) .

وأمت بعض الحكومات عددا من الصناعات : فاستولت حكومة برييني على مصانع الملح ، وأمت ميليطس مصانع النسيج ، ورودس ونيديس مصانع الفخار ؛ ولكن الحكومات لم تكن تؤدي للعمال أجورا أعلى مما يؤديه أصحاب الأعمال الشحيحون ، وكانوا يمتصون من كدح عبيدهم كل ما يستطيعون امتصاصه من المكاسب . واتسعت الهوة بين الأغنياء والفقراء (٢١) ، وأضحت حرب الطبقات أشد مرارة مما كانت قبل ؛ فأخذت كل مدينة قديمة كانت أو حديثة تردد أصداء كراهية الطبقات بعضها لبعض ، وكانت هذه الكراهية تتمثل في الفتن ، والمذابح ، وأعمال القمع ، والنفي ، والقضاء على الأنفس والثمرات . فإذا ما انتصر فيها حزب طرد الحزب الآخر وصادر أملاكه ؛ فإذا عاد إلى المنفيين سلطانهم ثأروا لأنفسهم مثل هذا الثأر وقتلوا أعداءهم ، ألا فليتصور القارئ أى استقرار يمكن أن يتاح لنظام اقتصادي يتعرض لأمثال هذه الاضطرابات والمزات العنيفة . وقد وصل ما حل من الخراب ببعض المدن اليونانية القديمة من جراء النزاع بين الطبقات إلى درجة أن هجرتها الصناعات وفر منها الناس ، وأن نمت الأعشاب في شوارعها وأقبلت عليها الماشية ترعاها (٢٢) . وكتب پوليبوس حوالي عام ١٥٠ ق . م يصف بعض مظاهر هذه الحرب كما يراها رجل محافظ ثرى :

« ولما أن هيئوا (أى الزعماء المتطرفون) نفوس العامة إلى الجشع والرشوة ، قضى على ما في الديمقراطية من فضيلة ، واستحالت حكم العنف والاستبداد . ذلك أنه إذا اعتادت الغوغاء أن تطعم على حساب غيرها ، وأن تُبعث فيها الآمال بأن تعيش من مال جيرانها ، ثم وجدت زعيما أوتى قدرا كافيا من

الطموح والجرأة . . إذا حدث هذا نشأ عنه حكم العنف . وحينئذ تقوم الجمعيات الصاخبة ، والمذابح ، والنقى ، وإعادة توزيع الأرض (٢٣) ، وكانت الحروب ونزاع الطبقات هي التي أضعفت بلاد اليونان الأصلية حتى جعلتها غنيمة سهلة لرومة . ذلك أن قسوة المنتصرين وغلظة قلوبهم المتناهية ، وتدمير الغلات ، والكروم ، والبساتين ، وتخريب الضياع ، وبيع الأسرى في سوق العبيد قد قضى على إقليم في إثر إقليم ، وترك البلاد أشبه بقشرة فارغة أمام العدو الأخير . وهل تقوى أرض أفقرها التنازع والتباغض ، واكتسحت تربتها عوامل التعرية ، وقطعت غاباتها ، ولم يكن يزرع أرضها إلا المستأجرون الفقراء أو الأرقاء الكليلون ، هل تقوى أرض هذا شأنها على منافسة السهول الفيضية التي تشقها أنهار العاصي ، والفرات ، ودجلة ، والنيل . أضف إلى هذه أن المدن الشمالية لم تعد كما كانت من قبل قائمة على الطرق التجارية الكبرى ، وأنها قد فقدت أساطيلها الحربية ، ولم يكن في مقدورها أن تشرف على موارد الحبوب وطرقها وهي الموارد والطرق التي كانت أثينة واسباطة تسيطران عليها في أيام عظمتها الإمبراطورية . وانتقلت مراكز القوة ، بما فيها قوة الإبداع الأدبية والفنية ، إلى أماكنها القديمة في آسية ومصر ، وهي المراكز التي أخذت منها بلاد اليونان في تواضع ونجشوع آدابها وفنونها قبل ذلك الوقت بألف عام .

الفصل الثالث

أخلاق الأنحلال

لقد عجل فشل نظام دول المدائن تدهور الدين القديم؛ ذلك أن آلهة المدينة قد ثبتت عجزها عن حمايتها ، ومن أجل هذا تزعزع إيمان الناس بهذه الآلهة . واختلط أهلها بالتجار الأجانب الذين لم يكن لهم نصيب في حياة البلد المدنية والدينية والذين انتشر تشككهم وپوهم بين المواطنين . على أن أساطير الآلهة المحلية القديمة قد بقيت بين الفلاحين والسذج من سكان المدن ، وبقيت كذلك في الطقوس الرسمية ، وظل المتعلمون يستخدمونها في الشعر والفن ؛ أما من تحررت عقائدهم بعض التحرر من سلطانها فأخذوا يهاجمونها بعنف . غير أن الطبقات العليا ظلت تستمسك بها وتستعين بها على حفظ النظام ، وتقاوم الإلحاد الصريح وتعدده شاهداً على فساد الذوق . ولما قامت دول كبيرة أدى قيامها هذا إلى توحيد الآلهة واندماجها هي الأخرى ، وسرت في نفوس الناس نزعة غامضة نحو التوحيد ، وحاول الفلاسفة أن يصوغوا للأدباء مذهب وحدة الوجود في صيغة لا تتعارض تعارضاً صريحاً كل الصراحة مع العقائد الثابتة القديمة . من ذلك أن أوفروس Euphrasus أحد سكان مسانا في صقلية نشر حوالى عام ٣٠٠ ق.م كتابه المسمى هيرا أنجرافا Hiera Anagrapha (ومعناه الحرفى الكتابات أو السجلات المقدسة) ، والذي قال فيه إن الآلهة إما أن تكون قوى طبيعية جسدها الناس ، وإما أن تكون - وهذا هو الأغلب الأعم - أبطالاً آدميين ألَّههم خيال الشعب أو عبدهم اعترافاً بفضلهم على بنى الإنسان ؛ وإن الأساطير إن هي إلا استعارات وتشبيهات ، وإن الاحتفالات الدينية كانت في الأصل مراسم تخليداً لذكرى الموتى . فزيوس

مثلا كان فاتح مات في كريت وأفريقي كانت موجودة الدعازة ونصيرتها ، ولم تكن قصة كرونوس وأكله أبناءه إلا طريقة للقول بأن أكل اللحوم البشرية في الزمن القديم عادة متبعة على ظهر الأرض . وقد كان لهذا الكتاب أثر قوى في نشر النزعة الإلحادية في بلاد اليونان في القرن الثالث قبل الميلاد (*)(١٢٣).

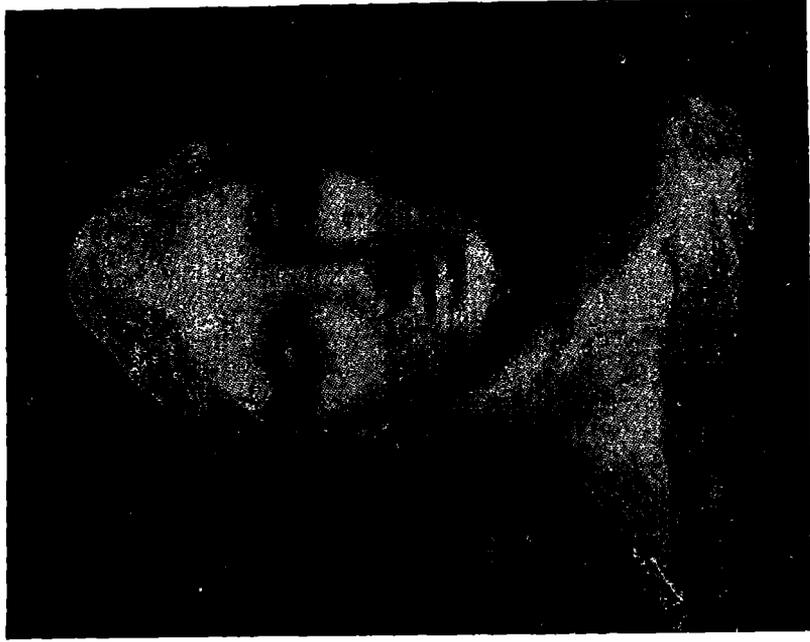
يبد أن الناس لا يستريحون للتشكك لأنه يترك قلب الإنسان وخياله فارغين ، وهذا الفراغ لا يلبث أن يجذب إليه عقيدة جديدة مشجعة ؛ وقد مهدت انتصارات الفلسفة وانتصارات الإسكندر المييل إلى الطقوس الدينية الجديدة . وسادت أئينة في القرن الثالث عقائد دينية غريبة اضطربت لها أحوالها ، وكانت كلها تقريبا ، تبشر بالجنة وتتلذز بالحجم ، حتى أحسن أبيقور ، كما أحسن لكريشوس في رومة في القرن الأول ، أن من واجبه أن يندد بالدين ويقول إنه يتعارض مع طمأنينة العقل ومنتعة الحياة . ومن أجل هذا أصبحت المعابد الحليدة ، حتى في أئينة نفسها ، تشاد عادة لإيزيس ، وسراپيس Serapis ، وبنديس Bendis وأدنيس ، وغيرها من الأرباب الأجانب . وانتشرت الطقوس الإليزية الحفية وأخذ الناس يحاكونها في مصر ، وإيطاليا ، وصقلية ، وكريت . وظلت عبادة ديونيشيوس إليوثيريوس - المحرر - واسعة الانتشار حتى اندمج هذا الإله في المسيح . وانضوى تحت إواء الأرفية أتباع جدد حين جددت اتصالها بالأديان الشرقية التي نشأت هي عنها . لقد كان الدين القديم أرنستقراطيا ، وكان يحرم على الأجانب والرقيق أن يكونوا من أتباعه ، أما الطقوس الشرقية الحليدة فكانت تقبل بين أتباعها جميع الرجال والنساء ، ومنهم الأجانب ، والأرقاء ، والأحرار ، وكانت تعد الناس على اختلاف طبقاتهم بالخلود في الدار الآخرة .

(*) وربما كان هذا الكتاب تعييرا عن العادة الملنستية عادة تالية الملوك ومشجعا لها في الوقت نفسه .

وانتشرت الخرافات والأوهام في الوقت الذي بلغ فيه العلم أوجه ، وإن الصورة التي رسمها ثاوفراسطوس « للرجل المخرف » لتكشف عن رقة الغشاء الثقافي في حضرة النور والفلسفة نفسها . فلقد كان العدد ٧ عدداً مقدساً إلى حد لا يتصوره العقل ؛ فكان ثمة سبعة كواكب سياراً ، وسبعة أيام في الأسبوع ، وسبع عجائب في العالم ، وسبعة أعمار للإنسان ، وسبع سماوات ، وسبعة أبواب للجحيم . وانتعش علم التنجيم على أثر انتشار التجارة مع بابل ، وكان من العقائد المسلم بها والتي لا تقبل الحدل أن النجوم آلهة تتصرف في مصائر الأفراد والدول صغيرها وكبيرها ، وحتى خلق الإنسان كان يحدده الكوكب الذي ولد الإنسان في مطلعها ، فيكون مرحاً إذا ولد والمشتري في السماء ؛ أو نشطاً زواغاً ، إذا كان فيها عطارد ، أو نكداً إذا كان فيها زحل (*) . وحتى اليهود أنفسهم كانوا يعبرون عن الأمانى الطيبة بقولهم : « مزول — توف Mazzol-Tof » نرجو أن يكون كوكبك سعداً (٢٤) . . وكان علم الفلك يكافح في سبيل الحياة ضد التنجيم ، ثم استسلم له آخر الأمر في القرن الثاني بعد الميلاد . وكان الناس في جميع أنحاء العالم الهلنستي يعبدون تيكي Tyche إله الفرص .

وليس في مقدور الإنسان أن يدرك عظيم الأثر الذي يحدثه في الأمة موت دينها التقليدي إلا إذا أوتى خيالاً قوياً لا يكمل ، أو قدرة فائقة على الملاحظة . لقد قامت الحضارة اليونانية القديمة على الإخلاص لدولة المدينة والتفاني في حبها ، وكانت العقائد الخرافية من أقوى العوامل في تدعيم المبادئ الأخلاقية وإن كانت هذه المبادئ متأصلة في القمص الشعبي والمعارف الشعبية أكثر من تأصلها في العقيدة الدينية . لكن الرجل اليوناني المتعلم قد خسر في الوقت الذي نتحدث عنه دينه ووطنيته ؛ ومحت الإمبراطوريات الحدود المدنية ، وأضحت

(*) ويطلق على هذه الصفات بالإنجليزية Jovial ، ercurial ::
على التوالي .



(شكل ٤٨) رأس فتاة من خيوس (طليوز) (متحف بستان)



(شكل ٤٧) رأس مليجر ، نسخة رومانية منقولة عن
أسكندر داس ، (٩) من بيت آل مليجي بروم.

المبادئ الخلقية ، وشئون الزواج ، والأبوة ، والقوانين ، بسبب انتشار المعارف من الأمور الدنيوية . وقد كان عصر الاستنارة في أيام پركليز من أسباب تدعيم الأخلاق إلى حين ، وهذا شبيه بما حدث في أوربا الحديثة ؛ فقد نمت المشاعر الإنسانية ، وأيقظت - ذون جلوى - في نفوس الناس استياء شديداً من الحروب ، ونشأت عادة التحكيم في المنازعات بين المدن والأفراد ، وأصبحت الآداب أظرف مما كانت وأكثر صفلا ، وصار الجدل أكثر تحضراً ، وانتقلت آداب اللياقة والمحاملات اللطيفة من حاشيات الملوك ، حيث كان الباعث عليها السلامة الشخصية والهيئة الملكية ، إلى أفراد الشعب ، فلما أن جاء الرومان دهش اليونان أشد الدهشة من سوء آدابهم وغلظة طباعهم . لقد أضحيت الحياة في بلاد اليونان أرق مما كانت وأكثر تهدياً ، وكان النساء يستمتعن بقسط أوسع من الحرية في غدوهم ورواحنهم ، ويعتفن في الرجال الميل إلى الظرف والرشاقة ؛ فأخذوا يحلقون لحاهم وخاصة في بزنطية وزودس ، حيث كانت القوانين تحرم هذا العمل وتعدده تشبهاً بالنساء^(٢٥) . غير أن الجري وراء اللذات قد أنهك حياة الراشدين من أفراد الطبقات العليا . ولم تجد المشكلة القديمة مشكلة الآداب والقوانين الأخلاقية ، وكيف يوفق الناس بين أبيقورية الفرد الفطرية ورواقية الدولة الضرورية ، لم تجد هذه المشكلة حلالها في الدين ، أو السياسة ، أو الفلسفة .

وانتشر التعليم ولكن انتشاره كان رقيقاً غير عميق ، فقد كان يفعل ما يفعله في جميع العصور التي كانت الغلبة فيها للعقل فيعنى بالمعارف أكثر مما يعنى بالأخلاق ، ولذلك أخرج جماهير غفيرة من أنصاف المتعلمين الذين انتزعوا من العمل ومن الأرض ، وأخذوا يطوفون وهم ساخطون حيث يجب ألا يكونوا ، كأنهم بضاعة سائبة في سفينة الدولة ؛ وأنشأت بعض المدن مثل ميليطس ورودس مدارس عامة تنفق عليها الدولة ، وكان الذكور والإناث

يتعلمون مجتمعين في مدارس تيوس Teos ، وطشيوز ، وكانت تعطى للجنسين فرص متكافئة لا نظير لها إلا في اسبارطة^(٣٦) . وتطورت مدارس الرياضة البدنية حتى أضحى مدارس عليا أو كليات جامعية بها غرف للتدريس ، وقاعات للمحاضرات ومكتبات . كذلك ازدهرت ساحات التدريب الرياضي وأضحى لها شأن في بلاد الشرق ؛ ولكن الألعاب العامة اضمحلت حتى أصبحت مباريات بين المحترفين وخاصة في الملاكمة ، التي كانت قوة الجسم فيها أهم من المهارة والحذق ؛ وأصبح اليونان أمة من النظارة يقنعون بأن يشاهدوا ولا يعملوا وقد كانوا في ماضي أيامهم أمة من الرياضيين .

وتحللت الأخلاق الجنسية من القيود أكثر من تحللها في عصر بركليز نفسه ، وإن كان هذا التحلل لم يقلل من انتشار اللواط بل ظل كما كان في سابق الأيام . انظر إلى قول شميثا Simaetha في بعض قصائد ثاوفراطوس : « إن الشاب دلفس Delphis يحب ، ولكني لا أعرف أيحب امرأة أم رجلا (٢٧) » . وظلت الحظية صاحبة السلطان الأعلى ، وهل أدل على ذلك من أن دمتريوس بليوكرتيز جبي من الأثينيين ضريبة مقدارها مائتي وزنة وخمسين (٧٥٠,٠٠٠ ريال أمريكي) ثم وهبها لعشيقتة لاميا Lamia بحجة أنها في حاجة إلى هذا المال لتبتاع به ما يلزمها من الصابون ؛ وقال الأثينيون الغضاب « إن هذه السيدة لا بد أن تكون قلرة إلى أبعد حدود القدارة » وأصبح الناس لا يتأففون من رقص النساء العاريات بل يرونه من العادات المألوفة ، وكان هذا يحدث أمام أحد ملوك مقدونية^(٢٩) . وقد صور مندبر في مسرحياته الحياة الأثينية بأنها حياة تدور كلها حول السفساف ، والغواية والزنى .

واشتركت المرأة اليونانية اشتراكا نشيطاً في الأعمال الثقافية في ذلك العصر ، وكانت لها جهود موفقة في الأدب والعلم والفلسفة والفن ، فكانت أرسطوداما Aristodama الأزميرية تنشد أشعارها في طول بلاد اليونان وعرضها وتقابل أينما حلت بأعظم مظاهر التكريم ؛ ولم يتردد بعض

الفلاسفة ، كأبيقور مثلا ، في قبول النساء في مدارسهم . وبدأ الأدب يعنى بوصف جمال المرأة الحسنى بعد أن كان من قبل يعنى بقيمتها وفتنتها من ناحية الأمومة ، ونشأت العبادة الأدبية للجمال النسوى في ذلك العهد إلى جانب أشعار الحب الرومانى وقصصه . وقد صحب هذا التحرير الحزنى للمرأة ثورة على قصر وظيفتها على الأمومة ، وأضحى تحديد النسل من أهم الظواهر البارزة في ذلك العصر ، فلم يكن يعاقب على الإجهاض مثلا إلا إذا لحأت إليه المرأة على غير إرادة زوجها ، أو بتحريض من أغواها ؛ وكان الطفل في كثير من الأحيان يعرض للجو القاسى ، ولم يكن عدد الأسر التى تربي أكثر من بنت واحدة في المدن اليونانية القديمة يزيد على واحد في المائة من مجموع أسرها ؛ وفي ذلك يقول يوسيدبوس Posidippus ، « وحتى الرجل الغنى نفسه ، كان يعرض ابنته للجو القاسى على الدوام . وكان يندر وجود أخوات للأبناء ، وكثر عدد الأسر التى لم يكن لها أبناء قط أو كان لكل منها ولد واحد . وفي وسعنا أن نتتبع من النقوش الباقية إلى هذه الأيام خصوبة تسع وسبعين أسرة من سكان ليليطس في عام ٢٠٠ ق. م : لقد كان لاثنتين وثلاثين من هذه الأسر طفل واحد ، وإحدى وثلاثين منها طفلا ؛ وكان مجموع أبناء هذه الأسر جميعها مائة وثمانية عشر ولدا وثمانيا وعشرين بنتا^(٣٠) . وفي إرتريا Eretria لم يكن عدد الأسر التى لها ولدان يزيد على أسرة واحدة في كل اثنتى عشرة أسرة ، وقلما كان لأسرة واحدة ابنتان . وكان الفلاسفة يتجاوزون عن قتل الأطفال بحجة أنه يخفف من ضغط السكان على موارد الرزق ؛ فلما أن لحأت الطبقات الدنيا إلى هذه العادة وأسرفت فيها تساوت نسبة الوفيات مع نسبة المواليد . ولم يعد في مقدور الدين أن يتغلب على مقتضيات الراحة ونفقات الأبناء ، مع أن الدين نفسه كان في الأيام الخالية يخيف الناس ويحذرهم من قلة النسل حتى تجد أرواحهم من يعنى بها بعد موتهم . وحل المهاجرون في المستعمرات محل الأسر القديمة ، فلما أن نقص عدد المهاجرين في أتكا والهلوبونيز إلى أدنى حد قل عدد السكان كثيرا . ورأى

ورأى ذلك فليب الخامس فحرم تحديد عدد أفراد الأسر في مقلونية ، وزاد بذلك عدد الرجال بنسبة خمسين في المائة مما كانوا عليه قبل هذا الأمر (٢١) ؛ وفي وسعنا أن نستدل من هذا على مبلغ ما وصلت إليه عادة تحديد النسل حتى في مقلونية التي كانت لاتزال نصف بدائية ، وفي هذا المعنى يقول پوليبوس في عام ١٥٠ ق . م :

لقد سرت في جميع بلاد اليونان موجة من نقص المواليد ومن قلة السكان تبعاً لهذا النقص ، نشأ عنها أن أقفرت المدن من السكان وأجدبت الأرض فلم تعد تخرج ثمرها ... ذلك أن الناس قد انغمسوا في الترف والبخل والكسل ، فلم يعودوا يرغبون في الزواج ، أو في تربية الأبناء إذا تزوجوا ، وأقصى ما كانوا يسمحون به أن يكون لهم من الأبناء ولد أو ولدان حتى يظلوا يستمتعون برخاء العيش ، وحتى يربوا هؤلاء الأبناء ليتلفوا ما يتركون لهم من المال . واستبشرى هذا الفساد بسرعة وإن تكن غير ملحوظة ، وكان يحدث أحياناً أن يهلك أحد الولدين في الحرب وأن يقضى المرض على الولد الثاني ، فيكون مصير البيت الخراب ... وهكذا نصب معين المدن وحل بها الوهن شيئاً فشيئاً (٢٢) .

الفصل الرابع

الثورة في اسبارة

وفي هذه الأثناء كان تركيز الثروة في أيدي عدد قليل من الأفراد يثير النزاع الأبدي بين الطبقات في جميع أنحاء اليونان . وكان من أثر هذا التركيز في اسبارة أن بذلت محاولتان لإصلاح الحال بإحداث انقلاب تام في أحوال تلك المدينة . لقد استطاعت اسبارة بفضل عزلتها بين الحواجز الجبلية أن تحافظ على استقلالها ، وأن تصد جيوش مقدونية ، وتهمز جيش بروس (٢٧٢) الضخم ببسالة أبنائها وشدة بأنهم . ولكن نهم الأقوياء أحدث في داخل البلاد من الخراب ما لم تقو جيوش الأعداء على إحداثه فيها من الخارج . فقد ألغى قانون ليقورغ الذي كان يمنع انتقال الأرض من أيدي ملاكها بالبيع أو تقسيمها بالوصية (*) ، واستخدم الاسبارطيون ماعاد عليهم من الثروة بطريق الإمبراطورية أو الحرب في شراء هذه الأراضي من أصحابها (٣٣) . وما وافت سنة ٢٤٤ حتى آتت أراضي لكونيا الزراعية التي تبلغ مساحتها ٧٠٠,٠٠٠ فدان إلى مائة أسرة لا أكثر (٣٤) ، وحتى لم يحتفظ بحقوق المواطنة لإسبارة رجل ، وحتى هؤلاء السبعائة لم يكونوا يطعمون مجتمعين كما كانوا يطعمون من قبل . ذلك أن الفقراء لم يستطيعوا تقديم قسطهم من الطعام ، وأن الأغنياء كانوا يفضلون ولائهم الخاصة . وحلت الفاقة بمعظم الأسر التي كانت من قبل تستمتع بالحقوق السياسية ، وأخذت تطالب بإلغاء الديون وإعادة توزيع الأراضي على الأهلين .

(*) وليل سبب إلفاته أنه أدى إلى تحديد عدد أفراد الأسرة ؛ كما حدث في فرنسا الحديثة .

وكان من فضائل الملكية أن محاولة إصلاح هذه الحال قد قام بها ملوك اسبارطة . ذلك أن أچيس الرابع Agis IV وليونداس قد ارتقيا عرش المدينة المزدوج في عام ٢٤٢ . وأيقن أچيس أن ليقورغ كان يقصد أن تكون الأراضي موزعة بالتساوي بين جميع الأحرار فاقترح أن يشرع في توزيعها بينهم من جديد ، وأن تلغى جميع الديون ، وأن يعاد النظام شبه الشيعى الذى وضعه ليقورغ . وأيد الملك الذين كانت أرضهم مرتبهة اقترح إلغاء الديون ؛ فلما أن ووفق على المشروع عارضوا أشد المعارضة كل ما عداه من عناصر إصلاحات أچيس ؛ ثم اغتيل أچيس نفسه بتحريض ليونداس ، واغتيلت معه أمه وجدته ؛ وكانت كلتاها قد نزلت عن ضياعها طائعة مختارة لتوزع على أبناء الشعب . وكانت النساء أنبل الشخصيات في هذه المسرحية الملكية ؛ فقد كانت كلونيس Chilonis ابنة ليونداس زوجة كليبروتوس Cleombrotus الذى يؤيد أچيس . ولما نفي ليونداس واغتصب كليبروتوس الملك هجرت كلونيس زوجها الظافر لتشارك في النفي مع زوجها ، ولما أن استعاد ليونداس السلطة ونفى كليبروتوس ، آثرت كلونيس أن تنفي مع أبيها (٢٥) .

وأراد ليونداس أن يضم لأملك أسرته ما كان لأرملة أچيس من ثروة طائلة ، فأرغمها على أن تزوج بابنه كليمنيس Cleomenes . ولكن كليمنيس هام بحب زوجته ، واستلهم منها آراء الملك القليل ؛ ولما أن اعتلى العرش باسم كليمنيس الثالث ، قرر أن ينفذ إصلاحات أچيس . واستطاع أن يضم الجيش إلى جانبه ببساطته في الحرب ، وأن يكسب تأييد الشعب ببساطة معيشته . فلما تم له ذلك ألغى الأفورية الأبحركية بحجة أن ليقورغ لم يوافق عليها قط ، وقتل أربعة عشر من الذين عارضوا هذا الإلغاء ، ونفى منهم ثمانين ، وألغى جميع الديون ، ووزع الأراضي على الأهلين الأحرار ، وأعاد نظام ليقورغ إلى ما كان عليه من قبل . ولم يكتف بهذا ، بل شرع

يفتح البلوبونيز أمام الثورة . ورحب به الصعاليك في كل مكان. ورأوا فيه منفذاً ومحراً لهم ، واستسلمت له عدة مدن وهي فرحة مستبشرة ، فاستولى على أرجوس ، وپليني ، وفيلوس Philius ، وپلدورس ، وهرميوني Hermione ، وتريزين Troezen ؛ وحتى كورنثة الفتية استسلمت له هي الأخرى في آخر الأمر . وانتشرت عدوى خطته هذه في كل مكان : ففي بوؤشيا امتنع المديون عن الوفاء بديونهم ، واستولت الدولة على الأموال لاسترضاء الفقراء ؛ وفي مجالوپوليس Megalopolis قام الفيلسوف سرسداس Cercidas يدعو الأغنياء أن يمدوا يد المعونة للفقراء قبل أن تطيح الثورة بجميع أموالهم^(٣٦) . ولما أن غزا كليمنيس أخيه Achaea وهزم أراطوس ، دب الرعب في قلوب الطبقات العليا جميعها خوفاً على أملاكها، واستغاث أراطوس بمقلونية ولبى نداءه أنتجونس دوسن Antigonus Doston ؛ وهزم كليمنيس في سلاسيا Sellisia (٢٢١) ، وأعاد النظام الأجركي في لسديمون . وفر كليمنيس إلى مصر ، وحاول دون جدوى أن يستعين ببطليموس الثالث ، كما حاول دون جدوى أن يدفع أهل الإسكندرية إلى الثورة ، فلما أخفق في كلتا المحاولتين لم يجد بداً من الانتحار^(٣٧) .

وظلت حرب الطبقات مستعرة نارها ، فخرج أهل اسپارطة على حكومتهم بعد جيل واحد من حكم كليمنيس ، وأقاموا دكتاتورية ثورية ، فما كان من فلوپيمين الذى خلف أراطوس في رياسة العصبة الآخية إلا أن غزا لكونيا ، وأعاد إليها حكم الملاك . وما كاد فلوپيمين ينصرم أجله حتى ثار الشعب مرة أخرى ، وأقام مكانه نابيس Nabis حاكماً بأمره (٢٠٧) . وكان نابيس هذا سورى الموطن سامى الجنس ، أخذ أسيراً في الحرب ، وبيع عبداً في مجالوپوليس . ولم يطلق صبراً على كفايته المقموعة فانتقم لنفسه بتنظيم ثورة بن الهيلوتين ، ولما تم له الأمر منح المواطنة اسپارطية لجميع الأحرار ، وقال للهيلوتين كونوا

أحراراً فكانوا . ولما وقف الأغنياء في وجهه صادر أملاكهم وقطع رؤوسهم . وانتشرت أنباء أعماله هذه في خارج اسبارطه : ووجد من أيسر الأمور أن يفتح بمعونة الطبقات الفقيرة مدائن أرجوس ، ومسينيا ، وإليس ، وبعض أركاديا . وكان أينما سار يومئذ المزارع الكبيرى ، ويعيد توزيع الأراضى على الأهلين ، ويلغى الديون (٣٨) . ورأت عصابة الدول الآخية أنها عاجزة عن القضاء عليه فطلبت العون من رومة . ولبي فلانينوس طلبه ، ولكن نايبس قاومه مقاومة عنيفة أرغمت الرومان على قبول هدنة رضى بمقتضاها نايبس أن يطلق سراح الأغنياء المسجونين ، ولكنه اشترط أن يظل محتفظاً لنفسه بالسلطة . وفي هذه الأثناء اغتال نايبس مغتالاً بتحريض عصابة الدول الإيتولية (١٩٢) (٣٩) . وبعد أربع سنين من ذلك الوقت زحف فلپومين مرة أخرى على اسبارطه ، وأعاد السلطة إلى الملاك ، وألغى أنظمة ليقورغ ، وباع ثلاثة آلاف من أتباع نايبس في أسواق الرقيق . وهكذا قضى على الثورة ، ولكن اسبارطه قضى عليها أيضاً ؛ نعم إن المدينة ظلت قائمة ، ولكنها لم يكن لها بعدئذ شأن فى تاريخ بلاد اليونان .

الفصل الخامس

سيادة رودس

انتقلت التجارة ورؤوس الأموال من بلاد اليونان القارية وأخذت تبحث لها عن ملاجئ جديدة في جزائر بحر إيجه ، وذلك لأنها خشيت عنف الانقسامات الحزبية ، ولأن حركات السكان اجتذبتها إلى تلك الجزائر. فازدهرت ديوس في القرن الثاني ، وقد كانت من قبل موفورة الثراء بسبب وجود هيكل أبلوها ؛ وأضحى ثغراً حراً تحت حماية رومة وإن كانت أثينة هي التي تصرف شئونها . وازدحمت الجزيرة الصغيرة بالتجار الأجانب ، وبمكاتب رجال الأعمال وبالقصور ، والأكواخ ، والهياكل المختلفة التي أقيمت للآلهة الأجنبية .

وبلغت رودس غاية مجدها في القرن الثالث ، وأضحى بإجماع الآراء أجمل مدائن هلاس وأعظمها حضارة . وقد وصف استرايون الثغر الكبير بأنه « يفوق سائر الثغور في مرافئه ، وطرقه ، وأسواره ، وما أدخل عليه من الإصلاحات ، حتى لأعجز عن القول بأن مدينة أخرى تضارعه أو تكاد تضارعه » (١) .

وكانت رودس ذات موقع طيب في ملتقى الطرق التجارية التي تخترق البحر الأبيض المتوسط ، يمكنها من أن تقيد من التجارة الآخذة في الانتشار والتي يسرت سبلها فتوح الإسكندر ، بين أوروبا ، ومصر ، وآسية ، ومن أجل هذا حلت مرافئ رودس الرحبة محل مرافئ صور وبيرية ، وأضحى المرافئ التي يعاد منها شحن البضائع ، كما أضحى مكان المقاصة التجارية والمالية والعاملة على تنظيمها في شرق البحر . وكان لتجارها سمعة حسنة في الأمانة ، ولمصارفها ، وحكومتها شهرة طيبة في الاستقرار ، وسبب ذلك خيانة وتقلقل . وأفادت (٤ - قصة الحضارة ، ج ٣ ، مجلد ٢)

الجزيرة كثيراً من هذه السمعة الحسنة ، وكان لها عمارة بحرية قوية يسيرها ملاحون من مواطنيها ، استطاعت أن تظهر بحر إيجه من القراصنة ، وتؤمن السبل البحرية لجميع السفن التجارية لسائر الأمم على قدم المساواة ، وأن تضع قوانين ضالحة للملاحة تدل على عقلية ناضجة ، رضيت بها سائر السفن التجارية ، وظلت هذه القوانين هي المسيطرة على تجارة البحر الأبيض قروناً عدة ، ثم أصبحت جزءاً من القوانين التجارية لزرومة والقسطنطينية والبندقية .

وبعد أن حررت رودس نفسها من سيطرة مقدونية بفضل مقاومتها الباسلة لدمتريوس بليوكريتيس (٣٠٥) ، وجهت سفينتها السياسية توجيهاً ناجحاً وسط بحر السياسة المضطرب في ذلك العصر ، فاحتفظت بحيادها احتفاظاً حكيماً ولم تتورط في الحرب إلا لتحول بين ازدياد سلطان دولة معتدية يمشى بأسها ، أو لتحتفظ للبحار حريتها . وقد ضمت كثيراً من مدن بحر إيجه وألفت منها « عصابة جزرية » ، وكانت في ممارستها حقوق السيادة عليها عادلة إلى حد لم تشك أية واجدة منها فيما لها من حق الزعامة عليها . وكانت لها حكومة ذات نظام أرستقراطي على أساس ديمقراطي ، شبيهة بحكومة رومة في عصر الجمهورية ؛ وكانت تحكم مدائن لندس ، وكيروس Camirus ، وباليوس lalysus ، ورودس مجتمعاً بمهارة وعدل نسبي ، ومتحف المقيمين فيها من الأجانب من الامتيازات ما لم تمنحه أثينة من هاجر إليها من الغرباء ؛ وبسطت حمايتها على عدد كبير من الأرقاء ، ولما أن تعرضوا للخطر لم تردد في تسليحهم للدفاع عن أنفسهم ، وفرضت على أغنياء المدينة أن يعنوا بالفقراء من أهلها (١) . وكانت الدولة تواجه نفقاتها بفرض ضريبة مقدارها اثنان في المائة على الصادرات والواردات ؛ وكانت تقرض المال بنسخاء ، ومن عر فائدة في بعض الأحيان ، إلى المدن إذا حلت بها الأزمات .

ولما أن حرب الزلزال رودس نفسها (٢٢٥) ، هب جميع العالم اليونانى لمعونتها ، وذلك لأن اليونان على بكرة-أبيهم كانوا يعتقدون أن اختفاءها من وسط بحر إيجه سيؤدى لاحتلاله إلى الفوضى التجارية والسياسية . فأرسل هيرون الثانى مثلاً مائة وزنة ذهبية (٣٠٠,٠٠٠ ريال أمريكى) ، وأعاد فى المدينة نحت طائفة من التماثيل تمثل أهل رودس يتوجههم السرقوسيون ، وأرسل بطليموس الثالث ثلثمائة وزنة (*) ، وأنتجونس الثالث ثلاثة آلاف ، ومعها مقادير كبيرة من الخشب والقار لتستخدمها فى البناء ، تبرعت زوجته الملكة كريسيس Chryseis بثلاثة آلاف وزنة من الرصاص ، وبما يعادل ثمانية وعشرين أردباً من الحبوب ؛ وبعث سلوقس الثالث بضعفى هذا القدر وبعشر سفن ذات خمسة صفوف من المجاديف كاملة العدة . « أما المذن التى قدمت كل منها ما يتناسب مع قدرتها المالية فهده يخطبها الحصر على حد قول بوليبيوس (١٢) » لقد كانت هذه الفترة .شكاة نيرة فى دياجير التاريخ السياسى المظلمة ، وكانت فرصة من الفرص القليلة النادرة التى فكر فيها العالم اليونانى وعمل بدأ واحدة .

(*) كانت الوزنة اليونانية تزن نحو ثمانية وسبعين رطلاً مصرياً . (المترجم)